الاستفهام القرآني عند المبرد (دراسة نحوية بلاغية)

محمد حامد بدوي حامد و عبد الرحيم سفيان حامد

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات – قسم اللغة العربية

المستخلص:

تناول هذا البحث التعريف بالمبرد مولده ونشأته، أيضاً التعريف بكتابه "المقتضب" ومنهجه، ثم أسلوب الاستفهام القرآني عند المبرد دراسة نحوية وبلاغية، قسمت دراسة هذا البحث في محورين:

المحور الأول:

معرفة الأوجه التي تأتي عليها (ما، من وأيّ) في الاستفهام القرآني والوقوف علي آراء النحويين فيهن.

المحور الثاني:

جهود علماء البلاغة في معرفة الاستفهام و خروجه من المعنى الأصلي إلى معانٍ تفهم خلال دلالة المعنى، ومن النتائج التي خرج بها البحث نجد أن بعض أدوات الاستفهام التي تم التعرض لها منها ما يستخدم لذوي العلم وفقط، ومنها ما يعمل لغير ذوي العلم، ومنها ما يستخدم بحسب ما تضاف إليه، وأن العلماء متفقون حول مدلول الاستفهام لحد يقرب من الإجماع، وهو طلب الفهم، وهناك مذهب آخر إلى أنه (إخبار)وخاصة في القرآن الكريم، وقد أخذت هذه الدراسة أهميتها بارتباطها بالقرآن الكريم فهو كلام الله وأساس اللغة ومصدرها الأول.

وأتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي.

وكانت أهم النتائج ما يلي: أولاً يعد المبرد آخر أئمة المدرسة البصرية في النحو، ثانياً وأن كتابه المقتضب يعد أكبر كتاب أُلف في النحو والصرف بعد كتاب سيبويه. وثالثاً أكد الباحث أن في القرآن الكريم استفهام حقيقي ولكنه يكون في حوار بين البشر. وأن العلماء متفقون حول مدلول الاستفهام لحد يقرب من الإجماع وهو طلب الفهم، وهناك مذهب إلى أنه (إخبار) وخاصة من القرآن الكريم واختتمت هذه الدراسة بالنتائج والتوصيات التي خرجت بها في نهاية البحث.

الكلمات المفتاحية:الشاهد، القاعدة، الربط.

ABSTRACT:

This research also addressed the definition refrigerant birth and upbringing, definition by typing "brief" and his approach, and then question the Quranic method when coolant grammatical and rhetorical study, this research study was divided in two axes:

The first axis:

Knowledge of aspects that come out (unless, of any) in question Quranic and stand on the grammarians therein views.

The second axis:

Rhetoric scientists effort to know the question and leaving the original meaning to gloss understanding through connotation meaning, and the results that came out of the research, we find that some question tools that have been exposure to them including what used to Zoe science and all, including those working for non-Zoe science, some of which is used according to what is added to it, and to agree scientists about the meaning of the question curb near unanimity, a request for understanding, and there is the doctrine of another that he (News), especially in the Koran, this study has taken its importance be associated with the Holy Quran is the word of God and the basis of language and the first source.

The study followed the descriptive approach inductive analytical.
The main results as follows: First radiator is another visual imams school in the way, and that the second book, the brief is the largest in the book A Grammar Book after Sibawayh. Thirdly, the researcher said that in the Koran, but the real question is in the dialogue between humans. And that scientists agree on the meaning of the question curb near unanimity, a request for understanding, and there is the doctrine that (News), especially from the Koran and concluded this study the findings and recommendations that emerged at the end of Seat.
Key words : witness, Al Qaeda, connectivity.

المقدمة:

لقد اقتضت حكمة الله تعالي في الأزل أن يجعل اللغة العربية لساناً لخاتم أنبيائه، ولغة أهل الجنة من خلقه ووعاء لكتابه الكريم﴿ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يوسف: ٢، وكثير من الآيات جاءت بهذا المعني، بل وعلى هذا فقد عني العلماء قديماً وحديثاًأيّما عناية بالنحو العربي، وذلك لما له من السمو والرفعة من بين سائر علوم اللغة العربية، وهو العلم الضابط للغة من اللحن والقبيح والفاسد من القول.

مشكلة البحث: تمثلت مشكلة البحث في محاولة دراسة أسلوب الاستفهام ودلالاته في القرآن الكريم، وهل هناك شواهد لكل تفصيلاته ودقائق مسائلة التي أثبتها العلماء في دراستهم من ناحية نحوية وبلاغية، وأخذت هذه الدراسة أهميتها لارتباطها بالقرآن الكريم، فهو كلام الله أساس اللغة العربية ومصدرها الأول.

الدراسات السابقة:هناك العديد من الدراسات التي تعرضت لأسلوب الاستفهام قديماً وحديثاً، ولكن دون إفراد بل كانت تحت أبواب وموضوعات متعددة وهذا ما يظهر من خلال مؤلفات العلماء القدماء نذكر منهم الزمخشري في الكشاف، وسيبويه في الكتاب، والقزويني في المفتاح، وحديثاً نجده بعض الرسائل والبحوث ولكن تنحصر في النحو والبلاغة، ومن ذلك الاستفهام في القرآن رسالة دكتوراه للدارس عمر المُثنى، جامعة أمدرمان الإسلامية، وهمزة الاستفهام في القرآن الكريم للدارسة انتصار حسن، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، دراسة بعنوان الأمر والنهي والاستفهام في سورتي الأنفال والتوبة، دراسة نحوية بلاغية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الدراسات النحوية، للدارسة جواهر عبد الله محمد، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، قسم اللغة العربية، 1420هـ - 2010م.

أهداف البحث:

1. يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:
2. التعرف على أسلوب الاستفهام عند "المبرد"، وعلماء البلاغة والتفسير في القرآن الكريم.
3. كشف خفايا أسلوب الاستفهام ودوره في فهم القرآن من خلال التطبيقات على الآيات المختارة.
4. تذوق معاني الاستفهام وتبيين خفاياه وأسراره في القرآن الكريم عند علماء البلاغة

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في الآتي: لأنه يليق بكتابة الله تعالى وهذا شرف لكل باحث، كما أنه تناول الاستفهام من جانب نحوي وبلاغي واستخراج معانيه البلاغية، ثانياً جمع فيه أهم جهود العلماء في مكان واحد وفق منهج معين، ثالثاً القرآن الكريم يعد رافداً أساسياً لفهم اللغة العربية من حيث القواعد التي تستمد منه، ويبين لنا مدى إعجاز القرآن الكريم من حيث بلاغته وفصاحته.

فهذه دراسة موجزة جمعت فيها مسائل عن بعض أدوات الاستفهام الاسمية، ومن ثم تسليط الضوء على ما ورد منها في الشواهد القرآنية في كتاب المقتضب " للمبّرد " متناولاً آراء بعض العلماء في "ما" و"من" و"أيُّ"في الاستفهام، ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها دراستي هي كتب النحو والبلاغة.وأتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي بعرض آراء المبرد في المسألة أولاً من خلال الآية القرآنية التي استشهد بها، ثم إيراد آراء علماء النحو في ذلك.

التعريف بالمبرد:

هو أبو العباس بن يزيد بن عبد الأكبر المثالي الأزدي، أبوه من اليمن ثم سكن البصرة.

لقبه: بلغ من إعجاب المازني بفطنته أن لقبه بالمبرد بكسر الراء لحسن تثبته وتأتيه في العلل، وحور الكوفيون اللقب إلى المبرد بفتح الراء عنتاً له وسوء قصد (شوقي ضيف، ط8 /2011م / ص123).

مولده: ولد أبو العباس المبرد سنة (210هـ) وتوفي سنة (285هـ)، نشأ بالبصرة وشغف بالعلم ولا سيما النحو والصرف فأخذهما عن المازني، فلما توفي أخذ عن الجرمي، ونبغ فيهما ولم يكن في وقته ولا بعده مثله، وقد كان آخر أئمة النحو البصري المشهورين (خديجة الحديثي، ط3 / 1422هـ-2001م ص94).

المقتضب، التعريف به، ومنهجه:

هو أشهر كتاب ظهر في علمي النحو والصرف وما يتبعهما من دراسة صوتية بعد كتاب سيبويه عالج فيه المبرد مسائل هذين العلمين من غير أن يخلطهما ببحوث أدبية أو لغوية، كما فعل في كتابيه " الفاضل " و" الكامل " (محمد بن الحسن الزبيري / ط-2 /1966م / ص156).

يعد المقتضب أكبر ما أُلِفَ في النحو والصرف ضم أصول هذين العلمين ومسائلهما وبينها بعد كتاب سيبويه فهو يعد المرجع الثاني لنحو البصريين بعد أن ظهر محققاً (علي بن يوسف القفطي، ط1/ 1406هـ/ 1986م، 156/4).

منهجه:

سار المبرد على خطي سيبويه كلها في بحثه لعلوم العربية الثلاثة النحو والصرف والأصوات اللغوية، فقد تحدث عن أبواب النحو، وإن لم تكن كل النحو، وتحدث عن موضوعات علم الصرف كالمجرد والمزيد وأبنيتهما في الأسماء والأفعال والحروف الزوائد وأماكن زيادتها، سار المبرد على خطى سيبويه في بحثه لعلوم العربية الثلاثة "النحو والصرف والأصوات اللغوية" فقد تحدث عن أبواب نحوية كثيرة إن لم تكن كل النحو وتحدث عن موضوعات علم الصرف كالمجرد والمزيد وأبنيتهما في الأسماء والأفعال وحروف الزوائد وأماكن زيادتها الصحيح والمعتل من الأفعال وأبنيتها وتحدث في خلال ذلك عن أبنية اسم الفاعل والمفعول وغيرهما من تغيير بقلب أو حذف أو غيرهم من صور الإعلال والإبدال ومن غيرهما من الموضوعات الصرفية. (أبو العباس بن يزيد، ط/ 2010م، 2| 57 -58).

مصطلحاته:

المبرد بصريٌّ ونحوه بصري ومصطلحاته في الأعم والأغلب بصرية إلاّ أنه استخدم في المقتضب بعض المصطلحات التي انفرد بها فلم تكن بصرية ولا كوفية من ذلك تسميته "الحال" المفعول فيه والضمير المنفصل المؤكد للمتصل: "الصفة" وجواب الشرط: "الخبر" والتوكيد المعنوي "النعت"،"النهي"، "النفي" وقد يتابع سيبويه

فيعبر عن "الهمزة"، "الألف" وصلاً كانت أم قطعاً ويصف الحرف المتحرك بأنه حرف "حي" مثل سيبويه كما أنه سمى الحرف الساكن "الميت" وهو مما وجدته عند سيبويه أيضاً.

أما الكوفيون فلم يرد لمصطلحاتهم ذكر في المقتضب ولم يصرح باسم الكوفيين إلاّ في موضع واحد مع أنه عاصر ثعلب من شيوخهم ونافسه في استقطاب طلبته، من ذكرهم في أثناء كلامه على إعراب الأسماء الستة حيث قال: وجميع هذه التي يسميها الكوفيون معربة من مكانين لا يصلح في القياس إلاّ ما ذكرنا " واستخدام كلمة النحويين أو تعبير "وزعم قوم من النحويين، ولم يحدد المقصود بهما فقد يكون المقصود بهما الكوفيين وقد يكون غيرهم من النحويين وهم أكثر في زمانه. (المقتضب، 155/1).

تعريف الاستفهام:

لغةً:

يقول ابن منظور الاستفهام لغةً: هو(طلب الفهم، والفهم: معرفتك الشيء بالقلب وتقول: فهمت الشيء عقلته وعرفته،وفهّمت فلاناً وأفهمته، وتفهم الكلام فهِمه شيئاً بعد شئ، ورجلٌ فهِّم سريع الفهم، وأفهمه الأمر فهّمه إياه جعله يفهمه، استفهمه: سأله أن يفهمه. وقد استفهمني الشيء وأفهمته تفهيماً).(ابن منظور، 1410هـ – 1990م).

ويعرفه صاحب كتاب العين: (فهمت الشيء فهماً عرفته وعقلته، وفهمت فلاناً وفهمته عرفته). (الخليل، 16/4، 1424 – 2003م).

ويقول الرازي: استفمته سألته الإفهام، فهم الشيء بالكسر فهماً وفهامةٌ، أي عقله وفلان فهم واستفهمته الشيء فأفهمه، وفهمه تفهيماً، وتفهم الكلام فهمه شيئاً بعد شئ، وفهِّم قبيلة). (الرازي، 1424هـ – 2003م).

يقول أحمد مطلوب:(هو الفهم، ومعرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء عقلته وعرفته وأفهمته الأمر وفهمه إياها، واستفهمته سأله أن يفهمه، وقد استفهمت الشيء فأفهمته تفهماً، والاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، والاستخبار الذي قال عنه: هو طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الاستفهام أي طلب الفهم).(أحمد مطلوب، ط1/ 2000م، ص 180).

إصطلاحاً:

يعرفه السكاكي بأنه هو: (طلب لحصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، الأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق).(أبو يعقوب السكاكي، ط2 / 1407هـ / 1987م).

يعرفه السبكي: (طلب الفهم إذا كان السائل جاهلاً فقد يكون عالماً وغرضه طلب فهم لآخر غير فاهم). (السبكي، 246/2).

يعرف الزركشي: (إنه طلب خبر ما ليس عنده، فهو بمعنى الاستفهام أي: طلب الفهم).(الزركشي، 339/2، 1422هـ 2001م).

وتقول الدكتورة إنعام فوال: (منهم من فرق بين الاستفهام والاستخبار، فالاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم من الفهم، فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهام). (إنعام فوال، سنة النشر 2014م، ص122).

يعرفه السيد الشريف: (هو استعلام ما في الضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أولاً وقوعها فحصولها هو التصديق، والا فهو التصور). (السيد الشريف، ط1، 1421هـ – 2000م، ص22).

المحور الأول: (ما، مِنْ، أيُّ)

أولاً"ما":

معلوم أن أدوات الاستفهام تنقسم إلى قسمين اسمية وحرفية ومن هذه الأدوات الاسمية "ما" و"من"، "أيُّ"في الاستفهام، وهذا ما سنتناوله بالدراسة في هذا البحث و(السَّماءِ وَما بَ نَ اهَا) الشمس: ٥

قال المبرد، فأما "ما" فتكون لذوات غير الآدميين ولنعوت الآدميين، إذ قال ما عندك؟ قلت فرس أو بعير، أو متاع أو نحو ذلك ولا يكون جوابه زيد ولا عمر، ولكن يجوز أن تقول ما زيد؟ فتقول: طويل أو قصير أو عاقل، أو جاهل، وقال قوم: في الآية التي ذكرت، معناها ومن بناها، وقال آخرون: إنما هو والسماء وما بناها " كما تقول بلغني ما صنعت، أي صنعتك، لأن "ما" إذا وصلت بالفعل كانت مصدراً.(المبرد ،295/2).

يقول الخطيبي: (فأما "ما" فيطلب بها إما شرح الاسم، أي شرح معنى الاسم لغةً أو شرح ماهية مفهوم الاسم اصطلاحا، كقولنا: ما العنقاء؟ المطلوب هاهنا شرح هذا الاسم كما ذكره، واما تمام ماهية الشيء الموجود كقولنا: ما الحركة؟ فيسأل عنها بعد العلم بوجودها). (الخطيبي، ط1932/2م، ص 347).

ويوافق ابن يعيش المبرد بقوله: (هي عن ذوات غير الأناس وعن صفات الأناس نحو قوله (إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) الأنبياء: ٥٢، فـ "ما" اسم نكرة في موضع رفع بالابتداء والتقدير أي شيء تلك بيمينك، وهي مبنية لتضمنها همزة الاستفهام، وإنما جيء بها لضرب من ضروب الاختصار وذلك أنك لو قلت: ما بيدك؟ فكأنك قلت: أعصا بيدك أم سيف أم خنجر).(ابن يعيش، ط1422|1هـ – 2001م، ص 179).

ويقول السكاكي: (فأما "ما" فللسؤال عن الجنس، فتقول: ما عندك؟ بمعنى: أي إنسان أو فرس أو كتاب أو طعام، وكذلك تقول، الكلمة ما الاسم وما الفعل، وما الحرف، وما الكلام، وفي التنزيل(قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ) الحجر: ٥٧بمعنى أي أجناس الخطوب خطبكم، أو عن الوصف تقول: ما زيد؟ وما عمر؟ وجوابه الكريم أو الفاضل وما شاكل ذلك).(السكاكي، ص420–421).

ويقول رضي الدين: (إذا جاء "ذا" بعد "ما" الاستفهامية ، لم تحذف ألفها، نحو: بماذا تفعل؟ ، وذلك لأن "ذا " لما لم تثبت زيادته ولا كونه موصولاً إلا مع "ما" صار "ما" مع "ذا" ككلمة واحدة فصار الألف كأنه في وسط الكلمة والحذف قليل في الوسط لتحصنه من الحوادث.(رضي الدين، ط1419/1هـ –1998م، 131/3–132).ويوافق سيد أحمد الهاشمي المبرد بقوله: (أن "ما" موضوعة لغير العقلاء، ويطلب بها:

أ. إيضاح الاسم نحو: ما العسجد؟ فيقال: في الجواب إنه ذهب.

ب. أو يطلب بها بيان حقيقة المسمي نحو: ما الشمس؟ فيجاب بأنه كوكب نهاري.

ج. أو يطلب بيان الصفة نحو ما خليل؟ وجوابه طويل أو قصير.(سيد أحمد الهاشمي، ط1417/3هـ – 2006م، ص 58).

ويقول الطاهر يوسف الخطيب: ("ما" يستفهم به عن الشيء وصفاته، وقد يستفهم به عن الأعيان في غير الناطقين أو حتى في الناطقين على رأي بعض النحويين نحو قوله (أَوَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) المؤمنون: ٦

وقد استعملت "ما" للعاقل بمعني الجواري اللواتي يملكونهن، وتعرب "ما" مبتدأ إذا تلاها فعل لازم نحو ما وقفت؟ ومبتدأ إذا تلاها جار ومجرور نحو: ما في السلة؟ ومبتدأ إذا تلاها ظرف نحو: ما أماكنهم؟ ، وخبر إذا تلاها معرفة نحو: " ما الخبر؟ "، ومفعولاً به إذا تلاها فعل متعد لم يستوف مفعوله نحو: ما قرأت؟ ، واسماً مجرورًا إذا سبقها حرف جر، نحو: بم تعمل؟ . (الطاهر يوسف الخطيب، ط4 / 2007م، ص 401-402).

وتقول فوال : ("ما" يستفهم بها عن أي شيء) كقوله (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ) البقرة: ٦٨

ولذا سألت ما عندك؟ تجيب عندي كتب ما، و"ما" اسم مبني على السكون في محل رفع نعت، ومثل ما اسمك؟ "ما" اسم مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم، واسمك مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة) ولذا اتصل بـ "ما " الاستفهامية حرف جر مثل: عن، والباء، وفي، واللام، وجب حذف ألفها كقوله(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ) النبأ: ١، (عزيزة فوال، ط1 / 1413هـ-1992م، ص432).

ملاحظة: في رأي بعض العلماء أن "ما" تستخدم لغير ذوي العلم، وبعضهم يقول: يستفهم بها عند الناطقين، وأوافق هذا الرأي المخالف والذي يدلني على ذلك مما جاء في سورة المؤمنون نحو قوله (أَوْ مَمَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) المؤمنون: ٦، وقد استعملت "ما" للعاقل بمعنى الجواري اللواتي يملكونهن

ثانياً: "من ":

قال تعالى: (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ) الكهف: ١١٠، ونحو قوله تعالى: (وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ) الأنبياء: ١٩

قال المبرد (أما "من" فإنه لا يعني خبر ولا استفهام ولا جزاء إلا ما يعقل، ولا تقول في جواب من عندك؟ فرس ولا متاع، إنما تقول: زيد أو هند).(المبرد، 295/2).

ووافق السكاكي المبرد (أن "من" فللسؤال عن ذوي العلم، فتقول: من جبريل؟ بمعني أبشر هو أم ملك أم جني، وكذا من إبليس؟ ومن فلان؟ ومنه قوله تعالي: عن فرعون قَال تعالى (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى) طه: ٤٩ أراد من مالككما ومدبر أمركما؟ أملك هو أم جني أم بشر؟ ، منكراً لأن لهما رب سواه لإعادته الربوبية لنفسه، ذاهباً في سؤاله هذا إلى ألكما رب سواي، فأجاب موسى قَالتعالى (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) طه: ٥٠(أبو يعقوب السكاكي، ط1- 1420هـ- 1999م، ص 422).

ويقول ابن يعيش: ("من" تكون استفهاماً نحو قولك: (من قام؟، ومن عنك؟ فـ "من" في موضع رفع بالابتداء وما بعدها الخبر، والذي يدل على ذلك لو أوقعت موقعها اسما معرباً مما فيه الإعراب، لظهر فيه الرفع قَال تعالى (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) البقرة: ٢٥٥وقوله أيضاً قَال تعالى (مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) البقرة: ٢٤٥

وقال الشاعر:

مَنْ رأيتَ المَنُونَ خَلَّدنَ أَمْ مَنْ ذا عليه مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

(عدي بن زيد، ص 87، 754/2).

فـ "من" هنا استفهام في موضع رفع إذا رفع " المنون " وألغي الفعل الذي هو " رأيت "، فإن أعملت الفعل نصبت المنون وكانت "من" في موضع نصب بـ " خلدنّ"، وهي مبنية لتضمنها همزة الاستفهام، وذلك أنك إذا قلت: " من هذا؟ " فكأنك قلت: أزيد هذا؟ ، والأسماء لا تحصي كثيرة فأتوا باسم يتضمن جميع ذلك، وهو "من").(ابن يعيش، 411-410/2).

وفي رأي ابن عصفور: ("من" تنقسم إلى تامة وغير تامة، وغير التامة هي الموصولة وللتامة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، تكون جزاء نحو: " من يكرمني أكرمه " وتكون نكرة موصوفة، مثل قولك: " مررت بمن محسن لك " أي بإحسان محسن لك، ومنه قول الشاعر:

إنَّا وإيّاكِ إذ حلَّتْ بأرْحُلِنا ... كَمَنْ بوادِيه بعدَ المَحْلِ مَسْطورِ

على تقدير كل إنسان ممطور بعد المحل.(الفرذدق، ص 102).

تكون استفهاماً كقولك: من عندك؟ وزعم أهل الكوفة أنها تكون زائدة واستدلوا على ذلك من البسيط ".

آلُ الزُبيرِ سنامُ المَجدِ قَدْ عَلِمتْ ... ذاكَ القبائلُ والأثْرُونَ مَنْ عَدَا

فإنما يريد الأثرون عدداً، و"من " زائدة. (الأزهرية، ص 103).

وقول آخر من الكامل:

يا شاةَ مَنْ قَنصٍ حلَّتْ لَهُ ... حُرِّمْتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لَمْ تُحْرُمِ

(عنترة، ص 213).

وهذا الذي استدل به أهل الكوفة لا حجة فيه لاحتمال أن تكون " من " في البيت نكرة موصوفة، ووصف بـ " قنص" وهو المصدر، بعدد اسم موضوع موضع المصدر.(4) (أبو الحسن بن مؤمن، ط1/ 1419هـ – 1988م، 44/3).

وتعرف الدكتورة عزيزة فوال "من" الاستفهامية اصطلاحاً هي اسم استفهام يكون دائماً مبنياً على السكون ويكون له محل من الإعراب حسب موقعه في الكلام قَال تعالى (مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) يس: ٥٢

فـ "من" اسم استفهام بني على السكون في محل رفع مبتدأ، ونحو ممن تخاف؟ " ممن " مؤلفة من " من " حرف جر، و"من" اسم استفهام مبني على السكون في محل جر بـ " من "، وقد تقع على الحكاية نحو: جاء زيد، فتقول: من زيد؟، وتقول: رأيت زيداً، ومررت بعمر، فيقال، من عمر؟ فيحتمل هذا على الحكاية " من " اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع خبر مقدم وعمر مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة المقدرة على الآخر منع من ظهورها حركة الحكاية.(عزيزة فوال، 1059/2).

في رأي بعض العلماء أن "مَنْ" تستخدم تامة وغير تامة، وقال بعضهم إذا أعملت في خبرٍ أو استفهام أو جزاء تكون لمن يعقل واتفق الجميع على إنها مبنية لتضمنها همزة الاستفهام.

ثالثاً: (أي):

قال المبرد:(ولو قلت:أي الذين في الدار هند ضاربتهم؟) جاز أن تكون اقتطعت بـ "أي" جماعة من جماعة، والوجه ضاربته وليس الحمل على المعنى البعيد، بل هو وجه جيد، قَال تعالى (وَكُلٌّ أَتَوهُ دَاخِرِينَ) النمل: ٨٧، قَال تعالى (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً) مريم: ٩٥، فهذا على اللفظ، والأول على المعنى.

ولو قلت: (أي من في الدار يكرمك؟) كان جيداً، لأن المعنى: أي القوم يكرمك؟

ولو قلت: (أي من في الدار يكرمك تكرمه) فإن شئت جعلت (يكرمك) الأولى من الصلة، فكان المعنى: (أي من يكرمك في الدار) فيكون الإكرام وقع لك في الدار. وإن شئت، كان في الصلة، وإن شئت، أخرجته من الصلة وجعلته خبراً، جعلت "تكرمه" حالاً.هذا في الرفع.وإن شئت جزمتهما، وإن شئت جعلت "أي" جزاء، وانشئت رفعت الأول، وجزمت الثاني، وجعلت أياً استفهاماً.

فأما (من) في هذا الموضع، فهي بمنزلة (الذي) وفي (الدار) صلتها.فكأنك قلت: أي القوم تكرمه يكرمك.إذا كان جزاءو تكرمه يكرمك إذا كانت استفهاماً (المبرد، 2-568/567).

ويقول ابن يعيش عن أي: (وأن معناها تبعيض ما أضيفت إليه، وكذلك لزمتها الإضافة وأقسامها كأقسام من في وجوهها وهي أربعة أقسام: تكون استفهاما أو جزاءكانت تامة لا تحتاج إلى صلة وتكون مرفوعة، ومنصوبة، ومجرورة فرفعها بالابتداء لا غير ونصبها بما بعدها من العوامل، ولا يعمل فيها ما قبلها، لأن الاستفهام (أيهم حضر؟) (وأيهم يأتيني؟) في (أي) هنا اسم تام لا يفتقر إلى صلة، وهو رفع بالابتداء وما بعده الخبر. قَال تعالى (وَسَيَعْلَمُ الَذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) الشعراء: ٢٢٧.

في (أي) نصب بـ (ينقلبون) لا بما قبله، ومثالهم إذا كانت جزاءأيهم يأتيني أكرمه وأيهم تكرم أكرمه في أي نصب بما بعده من الفعل، قَال تعالى (أَيًا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) الإسراء: ١١٠، (بن يعيش، ص415).

ويقول ابن عصفور في مسألة " أي ": (هي سؤال عن بعض من كل نحو أيهم قام؟) ولا يخلو أن تضيفها لما هي بعضه، أو إلى ما تقع عليه، فإن أضفتها إلى ما هي بعضه، فلا تكون إلا معرفة سواء أضفتها إلى مفرد أو جمع أو مثنى نحو: (أي الرجال قائم؟) و(أي رجل عندك؟) و(أي رجال عندك؟) وأي رجلين عندك؟ (ابن عصفور، 47/3).

ويقول فاضل صالح في حكم (أي) وهي حسب ما تضاف إليه، فإن أضيفت إلى مكان كانت مكاناً وإن أضيفت إلى زمان كان زماناً، وإن أضيفت إلى غيرهما كانت حسب ما أضيفت إليه، وذلك نحو قوله تعالى (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً) التوبة: ١٢٤،وقَال تعالى (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) لقمان: ٣٤، ونحو:أي يوم سافر خالد، وما إلى ذلك). (فاضل صالح، 221/4).

ويقول الطاهر يوسف الخطيب عن (أي) الاستفهامية: (هي اسم استفهام معرب، يستفهم به عن أمر يطلب من المخاطب الإجابة عليه، ويعرب بحسب ما يضاف إليه فهي:

1. مبتدأ إذا أضيفت إلى اسم بعد فعل لازم، أو فعل متعد استوفى مفعوله نحو:(أي معلم حضر؟) ونحو:أي قلم اشتريته؟ والجملة بعده في محل رفع خبر.

واستوفى مفعوله وهو الضمير في اشتريته لأنه فعل متعدد لمفعول واحد ، وتعرب (إي) مبتدأ لأنه تم الإبتدأ بها والجملة بعدها لا تحتاج إلى مفعول.

2. تعرب مبتدأ أيضاً إذا أتى بعدها شبه جملة أي متعلق الظرف أو الجار والمجرور نحو: (أي دفتر أمامك؟) و(نحو أي مدرس في الصف؟) أي مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخر وهو مضاف ومدرس مضاف إليه مجرور بالإضافة، و(في) حرف جر مبني على السكون لا محل له من الإعراب، والصف اسم مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره والجار والمجرور متعلقان بخبر محذوف تقديره كائن.

3. تعرب خبر إذا وقع بعد الاسم المضاف إليه اسم معرفة، نحو أي التجار أنتم؟

أي: خبر مقدم مضاف ، التجار: مضاف إليه ، أنتم: خبر مبتدأ

4. تعرب مفعول به إذا وقع بعدها فعل لم يستوف مفعوله نحو أي شعر تحفظ؟

أي: أداء استفهام مفعول به منصوب وهي مضاف ، شعر: مضاف إليه ، وتحفظ: فعل مضارع مرفوع لتجرده من الناصب والجازم ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.

التعليل: الفعل تحفظ فعل متعدٍ لم يذكر مفعوله في الجملة ولهذا أعربنا أي مفعول لفعل تحفظ .

5. مفعول مطلق، إذا أضيفت إلى مصدر من لفظ الفعل أو معناه نحو: أي درس درسته؟

أي: مفعول مطلق مضاف ، ودرس مضاف إليه ، درس: فعل ماضي ، والتاء: فاعل والضمير الهاء: في محل نصب مفعول به.

6. تعرب نائب ظرف، إذا أضيفت إلى ظرف، نحوأي ساعة عدت من المدرسة؟

أي: نائب ظرف مضاف ، وساعة : مضاف إليه ، وعاد : فعل ماضٍ ، والتاء: للمخاطب ، الفاعل: ضمير مستتر تقديره أنت ، من: حرف جر ، المدرسة : أسم مجرور بمن وعلامة جره الكسر.

7. تعرب اسم مجرور إذا سبقت بحرف جر نحو: في أي كتاب درست؟

في: حرف جر ، أي: أسم مجرور بفي أي مضاف ، وكتاب: مضاف إليه.

ويواصل د. الطاهر يوسف عن أحكام (أي) ويقول: (وتضاف إلى المعرفة والنكرة نحو: أي الطلاب كافأت؟) ونحو: (أي تلاميذ عندك؟)في (أي) في المثال الأول مفعوله لـ (كافأت) وفي المثال الثاني مبتدأ والخبر متعلق بالظرف)، وقد تقطع (أي) عن الإضافة، فتنون وتعرب إعراب كما لو كانت مضافة نحو: أيا من الطلاب تكلم؟). (الطاهر يوسف الخطيب، ص 98-99).

وخلاصة أقوال العلماء أن "أي" تكون للتبعيض، وتستخدم بحسب ما أضيفت إليه، فإذا أقطعت عن الإضافة تنون، وتعرب إعراب كما لو كانت مضافة.

المحور الثاني: معاني الاستفهام المجازية

تخرج ألفاظ الاستفهام من أصل وضعها، ويستفهم بها عن شيء آخر مع العلم به وهذا يعرف من صياغ المتكلم أن المستفهم يكون فارغاً ولكن هدفه شيء آخر، وهذا يدل على أن أدوات الاستفهام تستخدم بحسب ما يناسب المقام لقد تحدث كلٌ من النحويين والبلاغيين عن أسلوب الاستفهام، ويتأكد لنا هذا الأمر عندما ننظر لكلٍ منهم، وسف نورد نماذج من النحويين ثم البلاغيين.

أهم جهود النحويين:

قال المبرد: قد تخرج الهمزة عن أصلها من الدلالة على الاستفهام إلى التقدير، وهو ضرب من الخبر، فذلك "هل" خرجت عن بابها إلى معنى "قد"، نحو قوله تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ) ً الإنسان: ١، و "الهمزة" خرجت للإنكار، وتخرج "أم" و "أو" مخرج التقرير والتوبيخ، ومخرجه من الناس يكون استفهاماً ويكون توبيخاً، كذلك التسوية والإنكار). (المبرد، 287/2، ط2).

قال سيبويه: (يقع الاستفهام بمعنى التقرير والتوبيخ بعد "أم"، كما يقع بعد الألف). (سيبويه، ج3، ط1).

جهود البلاغيين:

تناول علماء البلاغة أسلوب الاستفهام ضمن دراستهم لعلم المعاني، قلما ما نجد كتاباً من كتب البلاغة لم يتحدث عنه، منذ عهد عبد القاهر الجرجاني مؤسس علم البلاغة على النمط الحديث، فقد تحدث عنه من خلال حديثه عن المعنى ونظرية النظم، ثم حذا حذوه المتأخرون وتحدثوا عنه بإسهاب.

قال ابن جني: (المستفهم عن الشيء يكون فارغاً به مع استفهامه عنه في الظاهر، ولكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء). (ابن جني، 464/2).

وهنا أمثلة لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى المعاني الدلالية:

1/ التهويل:

نحو قوله تعالى (وَما أَدْراكَ ما سَقَرُ) المدثر: ٢٧ ،قال الطبري: (مُجباً عباده مَنْ هو ذلك اليوم وشدته) "لأي يومٍ أُجلت، ووقِتت": ما أعظمه وما أهوله).(الطبري، م 16، ص 248).الاستفهام أفاد معنى التهويل، أي تهويل ذلك اليوم وهويوم القيامة، قال الزمخشري أي شيء أراك يا محمد، أي شيء سقر؟ ثم بين الله تعالى النار. (الزمخشري، 491). قال الأولسي: (الاستفهام أفاد معنى التهويل، أي تهويل المستفهم عنه وعن شأنه ُ). (الأولسي، م10، /139).

2/ التحسر:

قَال تعالىفْ(بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا) يس: 52 قال ابن عاشور: ("من" استفهام عن فاعل البعث مستعمل في التعجب والتحسر من حصول البعث). (ابن عاشور، ص 37).

وقال: أمين أبو ليل (يكون في مقام يظهر فيه المتكلم الحزن على شيء مضى).(علوم البلاغة، أمين أبو ليل، ط1-1427هـ - 2006م).

3/ التشويق:

قَال تعالى (مَن ذَا الَذي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً) البقرة: ٢٤٥، قال ابن عطية: (يروى أن هذه الآية لما نزلت قال أبو الدحداح: يا رسول الله أو أن الله يريد منا القرض؟، قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: فإني قد قرضتُ الله حائط فيه تسعمائة نخلة). (ابن عطية، 229/4).

4/ الاستبعاد

نحو قوله تعالى (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَةِ) القيامة: ٦. قال الزمخشري: (سؤال متضمن مستبعد لقيام الساعة). (الزمخشري، م4، ص 501)، قال الرازي والشوكاني: (استبعاداً واستهزاءً). (الرازي، 193/29)، (الشوكاني، 336/5) إذن الاستفهام أفاد الاستبعاد والتكذيب أي: استبعاد المشركين ليوم القيامة.

5/ التعظيم:

قَال تعالى (الْحَاقَّةُ (1) مَا الحَاقَّةُ) الحاقة: ١ - ٢(يقول فاضل صالح: الاستفهام هنا أفاد التعظيم). (فاضل صالح، ط1، 1420هـ - 1999م، 225/4 - 226).

الخاتمة:

تناولت الورقة الدراسية التعريف بالمبرد مولده ونشأته، والتعريف بالمقتضب منهجه ومصطلحاته، وأيضاً تعريف الاستفهام واستعراض بعض أدواته الاسمية في دراسة تطبيقية موجزة للاستفهام القرآني في كتاب المقتضب للمبرد، تضمنت "من" و"ما" و "أيّ" وكيفية استخدم كل منها في الاستفهام، وكانت أهم النتائج الآتية:

النتائج: أولاً يعد المبرد آخر أئمة المدرسة البصرية في النحو، وأن كتابه المقتضب يعد أكبر كتاب أُلف في النحو والصرف بعد كتاب سيبويه.

وأكد الباحث أن في القرآن الكريم استفهام حقيقي ولكنه يكون في حوار بين البشر. وأن العلماء متفقون حول مدلول الاستفهام لحد يقرب من الإجماع وهو طلب الفهم، وهناك مذهب إلى أنه (إخبار) وخاصة من القرآن الكريم.أن الاستفهام يرد كثيراً في السور التي تتناول قصص الأنبياء والأمم التي خلت من خلال الحوار والجدل

الذي كان يحدث بين الأنبياء أقوامهم. أكثر معاني الاستفهام ورودًا في القرآن الكريم، هي المعاني المجازية.الإنكار والتوبيخ هي أكثر المعاني ورودًا، ويليهما التعجب ثم الأمر ثم المعاني الأخرى.

التوصيات:

1. تعميق دراسة الاستفهام بصورة عامة في بقية أدوات الاستفهام الاسمية والحرفية.
2. دراسة الاستفهام دراسة نحوية وبلاغية لكي تبين إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.
3. تشجيع الطلاب لربط بحوثهم بالقرآن الكريم، وهذه فرصة لمعايشة هذا الكتاب الذي هجره الكثيرون.

قائمة المصادر المراجع:

1. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط8 /2011م،دار المعارف، ص113.
2. خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ط2 / 1422هـ - 2001م، دار الأمل، الأردن، ص91.
3. محمد بن الحسن الزبيري أبوبكر، تحقيق: محمد أبو الفضل، طبقات النحويين واللغويين ،دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط2 / 1966م، ص156.
4. علي بن يوسف القفطي جمال الدين أبو الحسن ,إنباه الرواة على أنباه النحاة،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ,ط1 / 1986م، 156/4.
5. أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الازدي، تحقيق حسن حمد، مراجعة د/ أميل بعيد يعقوب المبرد، المقتضب،257/2.
6. الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط/1410هـ - 1990، دار الصادر بيروت – لبنان، ص 235.
7. الخليل بن أحمد الفرايهيدي، العين،16/4، المتوفى سنة 170هـ، ط/1424هـ - 2003م، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية لبنان – بيروت.
8. الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، طبعة جديدة منقحة، 2003م، اعتنى بها الأستاذ/ يوسف الشيخ محمد، مكتبة صيدا بيروت.
9. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ط1 / 1421هـ - 2000م، ص180.
10. أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1/1420هـ - 2000م، ص422.
11. بهاء الدين السبكي،عروس الأفراح في تلخيص المفتاح، دار السرور بيروت – لبنان، 246/2.
12. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، المتوفى سنة 794هـ، خرج حديثه وقدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا، 339/2، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
13. أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1407/2هـ - 1987م، ص146.
14. إنعام فوال، المعجم المفصل في علوم البلاغة، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، طبعة منقحة، 2014م، ص122.

15. السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسين الجرباني الحنفي، المتوفي 816هـ، التعريفات وضع هوامشه، محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ -2000م، ص22.
16. المبرد، المقتضب،295/2.
17. تلخيص المفتاح، للعلامة شمس الدين محمد بن مظفر الخطيبي الخلخالي، المتوفى سنة 745هـ، تحقيق أ.د/ هاشم بن محمد بن عبد الرحمن القزويني، ط2/يناير 1932م، ضبطه وشرحه الأستاذ/ عبد الرحمن البرغوثي، دار الفكر العربي.
18. موقف الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل في صنعة الإعراب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/ أميل بديع يعقوب، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ج2، ط1/1422هـ2001م، ص179.
19. السكاكي، مفتاح العلوم، ص420 – 421.
20. السفاح بن بكير في خزانة الأدب، 95/6.
21. رضي الدين محمد بن الحسن، تحقيق د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1 / 1419هـ -
1998م، 131/3-132.
22. سيد أحمد الهاشمي، المتوفى 1362م، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1417/3 هـ – 2006م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنا، ص58.
23. الطاهر يوسف الخطيب، المعجم المفصل في الإعراب، تحقيق أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1416/4هـ – 2007م، ص141.
24. عزيزة فوال بابيتي، المعجم المفصل في النحو العربي، ط1413/1هـ -1992م، ص432.
25. المبرد، المقتضب، 295/2.
26. البيت من الخفيف لعدي بن زيد في ديونه، ص87، أمالي بن الحاجب، 754/2.
27. ابن يعيش، شرح المفصل في صنعة الإعراب، 410/2-411.
28. البيت للفرذدق في الأزهرية، ص102، وخزانة الأدب 123/6.
29. البيت بلا نسب له في الأزهرية، ص103.
30. البيت لعنترة بن شداد في ديوانه، ص213.
31. أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن عليين عصفور الاشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تحقيق فواز الشعار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1419/1هـ – 1988مج44/3.
32. عزيزة فوال بابيتي، المعجم المفصل في النحو العربي، ط1413/1هـ -1992م، 1059/2.
33. المبرد، المقتضب، 567/2.
34. بن يعيش، شرح المفصل، ص415.
35. بن عصفور،47/3.

36.فاضل صالح، 221/4.
37.الطاهر يوسف الخطيب، معاني النحو، ص98.
38.المبرد، المقتضب، 287/2.
39.سيبويه، الكتاب ، 3/ط1.
40.بن جني، الخصائص، 464/3.
41. تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة 310هـ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1– 1412هـ – 1992م.
42. الزمخشري، الكشاف، ص419 .
43.أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الأولسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المتوفى سنة 1270هـ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م.
44.الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ، الدار التونسية للنشر، 1984م.
45.المنجد الوجيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2001م.
46.محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار الحديث القاهرة، ط1413/1هـ، 1993م.
47.فاضل صالح، معاني النحو، ط1420/1هـ، 1999م، 225/4.